إتحاف النبلاء
بفضل الشهادة وأنواع الشهداء

للإمام الحافظ

أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير

سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الإدريسي الحسني

اسمه وكنيته:

هو سليل العترة النبوية الطاهرة الشيخ العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر اللغوي المسند الشاعر الحافظ المجتهد وريث المعقول والمنقول وحيد عصره وسيد مصره ولي الله الصالح بلا نزاع سيدي ومولاي/ أبو الفضل عبد الله ابن العلاَّمة أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن الولي الكبير سيدي محمد الصديق الغماري الطنجي

نسبه:

يعود نسبه من جهة الأب والأم إلى سيدنا إدريس الأصغر ابن مولانا إدريس الأكبر فاتح المغرب ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن سيدنا علي وفاطمة عليهما السلام كما هو مدون في كتب التراجم وأمه حفيدة الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة شارح الحكم العطائية

مولده:

وُلد رحمه الله تعالى في آخر يوم من جمادى الآخرة سنة 1328هـ – 1910رومي بثغر طنجة.

نشأته ورحلاته:

نشأ في رعاية والده رحمه الله فتعلم على يديه مبادئ العلوم الشرعية وبه تأسس واستأنس وكرع من حياضه وتأدب بآدابه، وبحضرته جالس العلماء الأفذاذ والصالحين فحفظ القرءان ثم شرع في حفظ بعض المتون ومعظم منظومة الخراز المسماة "مورد الظمآن" وجملة كبيرة من الألفيّة، والأربعين نووية، والأجرومية، قرأ بلوغ المرام، و مختصر الشيخ خليل.

ثم قرأ شرح الأزهري على الأجرومية على أخيه أبي الفيض، وحلّ قبل ذلك عباراتها حلا موجزًا على خاله السيد أحمد بن عبد الحفيظ بن عجيبة.

الرحلة إلى فاس:

ثم سافر إلى فاس بأمر والده لطلب العلم في جامعة القرويين وهي من الجامعات المعدودة في العالم الإسلامي مثل الزيتونة والأزهر والنظامية فقرأ فيها اثني عشر فنا من الفنون الشرعية المتعارف عليها في تلك الجامعات العريقة والتي يؤمر بتحصيلها كل عالم. مثل: شرح المكودي مع حاشية ابن الحاج، و شرح ابن عقيل وحاشية السجاعي، وشرح الخرشي على مختصر خليل، و شرح البخاري للقسطلاني والمحلي على جمع الجوامع في الأصول، والتوحيد لابن عاشر، و رسالة الوضع، وشرح القويسني على السلم.

وفي أثناء إقامته في فاس اجتمع بالسيد محمد بن جعفر الكتّاني، وأجازه السيد مهدي العزوزي الذي يروي عن السيد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة 1205هـ بواسطتين.

ثم رجع إلى طنجة بعد أن كرع وتضلّع وصار مقدّمًا على جميع أقرانه فدرّس بالزاوية الصديقيّة واجتمع عليه الناس وظهرت عليه آثار الصلاح والتحقيق والنظر ا.هـ

الرحلة إلى مصر:

وفي أواخر شهر شعبان سنة 1349هجري _1930رومي سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ومن الجدير بالذكر انه حل عليه عالماً متضلعاً متقناً دون أن يُظهر ذلك، تواضعاً للعلم وأهله وطاعةً لوالده، تكسوه آداب طالب العلم فكرع من حياض العلم التي تجعل من طالب العلم في عرف الأزهر عالما وهو ما لا بد من تحصيله قبل التصدر للعلم في مصر ومما يعرف في مصر أن المتصدر للعلم إن لم يشهد له الأزهر بذلك لا تقبل أقواله وهذا مما هو جلي في مصر والزيتونة في تونس فقرأ شيخنا شرح الملوي على السلم وحاشية الصبّان، وجمع الجوامع بشرح المحلي، والرسالة السمرقنديّة في آداب البحث والمناظرة.وشرح الأسنوي على منهاج الأصول للبيضاوي، وتهذيب السعد بشرح الخبيصي في المنطق.

ثم اتجه للفقه الشافعي تنفيذًا لأوامر والده فحضر في المنهج للشيخ زكريا، وشرح الخطيب على أبي شجاع وحضر دروس الشيخ محمد بخيت المطيعي في التفسير والهداية في الفقه الحنفي، وفي حاشيته على شرح الأسنوي على منهاج الأصول وأجازه إجازة عامة.

و لمزيد حرصه على تحصيل العلوم الشرعية كان يؤم بيوتات العلماء وكذلك نزولا عند رغبة والده ألا يدع عالما إلا ويجلس بين يديه فسخرت له الأسباب وفتحت له الأبواب وكان مقبولا عند الخواص والعوام ويدل ذلك على صلاحه وعلو كعبه ودرجة القبول، وتقدّم لامتحان العالمية (عالمية الغرباء) فحصل عليها، ثم حصل على عالمية الأزهر والامتحان فيها في اثني عشر فنًّا فنجح بدرجة ممتاز حتى أن شيخ الأزهر قال عنه : "إن الأزهر ليفتخر بحصول الشيخ عبد الله على شهادة العالمية".

تدريسه:

درّس شيخنا "رحمه الله" جمع الجوامع بشرح المحلي، وشرح الملوي على السُّلَّم، وسُلَّم الوصول إلى علم الأصول لابن أبي حجاب، والجوهر المكنون في البلاغة للأخضري، وشرح المكودي على الألفيّة، وتفسير النسفي، والأحكام للآمدي، والخبيصي على تهذيب السعد في المنطق، وتفسير البيضاوي.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على أكثر من مائتي عالم نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر

شيوخه من المغرب:

1- والده علامة المغرب السيد محمد بن الصديق رحمه الله تعالى.

2- أخوه الحافظ العلاّمة أبو الفيض أحمد.

3- العلاّمة الشيخ القاضي العبّاس بن أبي بكر بناني.

4- العلاّمة أبو الشتاء بن الحسن الصنهاجي.

5- العلاّمة عبد الله الفضيلي.

6- العلاّمة السيد عبد الرَّحمن بن القرشي العلوي.

7- الشريف الحبيب المهاجي.

8- المحدث عبد الحي الكتاني.

9- العلاّمة السيد محمد المكّي بن محمد البطاوري.

10- السيد المهدي بن العربي بن الهاشمي الزرهوني.

11- الملك إدريس بن محمد المهدي ابن العلاّمة محمد ابن علي السنوسي الشريف الحسني.

12- القاضي المسند الكبير عبد الحفيظ بن محمد بن عبد الكبير الفاسي الفهري.

13- العلاّمة الأثري الصوفي أبو القاسم بن مسعود الدبّاغ.

14- العلاّمة المحدّث السيّد محمد بن إدريس القادري الحسني الفاسي.

تونس:

شيخ جامع الزيتونة الشيخ طاهر بن عاشور التونسي المالكي.

مصر:

1- الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي.

2- مسند العصر الشيخ أحمد بن محمّد بن عبد العزيز ابن رافع الحسيني الطهطاوي.

3- الشيخ محمد إمام بن برهان الدين إبراهيم الشهير بالسقّا الشافعي.

4- الشيخ محمد بن إبراهيم الحميدي السمالوطي المالكي.

5- الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي القاهري.

6- السيد بهاء الدين أبو النصر بن أبي المحاسن القاوقجي الطرابلسي.

7- الشيخ محمد الخضر بن حسين التونسي.

8- العلاّمة الشيخ محمد دويدار الكفراوي التلاوي الشافعي.

9- الشيخ عبد المجيد بن إبراهيم بن محمد اللبّان.

10- عبد الواسع بن يحيى الصنعاني اليمني.

11- الشيخ محسن بن ناصر باحربه اليمني الحضرمي الشافعي.

12- الشيخ عبد الغني طموم الحنفي.

13- الشيخ محمد بن إبراهيم البيلاوي المالكي.

14- الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

15- الشيخ محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوي المالكي.

16- الشيخ عبد المجيد الشرقاوي.

17- الشيخ محمد عزت.

الحجاز:

1- الشيخ المحدث عمر حمدان المحرسي.

2- الشيخ المحدث عبد القادر بن توفيق الشلبي الطرابلسي.

3- الشيخ المعمّر محمد المرزوقي بن عبد الرَّحمن أبو الحسين المكّي الحنفي.

4- العلاّمة عبد الباقي بن ملاّ علي بن ملاّ محمد معين اللكنوي الأنصاري المدني الحنفي.

الشام:

1- الشيخ محمد سعيد بن أحمد الفرا الدمشقي الحنفي.

2- العلاّمة الورع بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي الشافعي شيخ دار الحديث بدمشق.

3- الأستاذ الشيخ عبد الجليل بن سليم الذرا الدمشقي.

4- الشيخ محمد راغب بن محمود الطبّاخ الحلبي الحنفي.

5- الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني الشافعي البيروتي.

6- الشيخ عطاء بن إبراهيم بن ياسين الكسم الدمشقي الحنفي.

شيوخه من النساء:

أم البنين آمنة بنت عبد الجليل بن سليم الذرا الدمشقيّة.

مؤلّفاته:

ألّف شيخنا رحمه الله العديد من المصنّفات كلها نافعة نفيسة مفيدة تدل على بعد نظره وعمق غوصه في عويص المسائل مما جعله يلحق ركب السلف من حيث الفهم والاستدلال وطريقة التأليف بل فاق الكثير منهم والدليل على ذلك انه ألف كُتُبا لم يسبق إليها نذكر منها:

1- بدع التفاسير

2- ذوق الحلاوة بامتناع نسخ التلاوة

3- الفوائد المقصودة ببيان الأحاديث الشاذة المردودة

وله أقوال انفرد بها عن كثير من العلماء وله تحقيقات لم يسبق إليها مع تواضع قل نظيره ومن اطلع على كتابه الرد المحكم المتين علم قيمة هذا العالم وعظيم قدره وتضلعه في الرد والبحث والمناظرة وإعطاء المسائل حقها ومن صور تواضعه التي تدل على صلاحه تنبيهه على أخطائه التي وقع فيها وتراجعه عنها.

طلابه:

مما يجدر الإشارة إليه أنه لا يوجد اليوم على البسيطة من عالم معتبر يشار إليه بالبنان من أهل السنة والجماعة وغيرهم إلا ويكون جلس بين يديه أو انتفع بكتبه فمنهم من حفظ الأمانة وأعطى الشيخ حقه وأحال إلى كتبه ومنهم من ضيع الأمانة ونسب الأقوال إلي نفسه أو لم يحل إلى كتب الشيخ.

مواقفه:

للشيخ رحمه الله عدة مواقف فمنها ما هو علمي حيث تصدى لكثير من الآراء التي لا تصلح أن تصدر من عامي زيادة على أن تصدر من عالم كموقفه من نزول سيدنا عيسى عليه السلام رآدا فيها على أحد كبار مشايخ الأزهر، وكذلك رده على البناني في معني الإله.

وكذلك رده على القائلين بالهجر بلا علة لازمة والهجرة إلى بلاد الكفار، وكذلك على عدم فهم كثير من المعاصرين علة تحريم نساء أهل الكتاب وكثير من هذه المواقف العلمية مما يطول ذكرها.

وأما ما ابتلي به الشيخ من علماء السوء فيصعب أن يتحمله إنسان ويكفي في ذلك محنته التي أودت بالشيخ إلى السجن الانفرادي مدة خمسة عشر سنة تقريبا مع الكيد ومحاولة إعدامه ولكن الله ناصر أوليائه وهو يفعل ما يشاء ويختار وتلك سنة الأنبياء والمرسلين وذلك نهج الأولياء والصالحين.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة 1413هجري – 1993رومي بطنجة ودفن فيها قرب والده.

نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

15 جمادى الأولى 1428هجري الموافق له 1 يونيو 2007 رومي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر الشهداء، وجعلهم بعد استشهادهم في زمرة الأحياء، لا تحجب أرواحهم عن الجنة ونعيمها إلا لدين ليس له أداء، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء، وإمام المخلصين الأصفياء. ورضي الله عن آله البررة الأتقياء، وصحابته الكرام الأوفياء.

أما بعد:

فهذا جزء كتبته في فضل الاستشهاد في سبيل الله تعالى، وبيان أنواع الشهداء الذين ورد ذكرهم في الأحاديث النبوية، مع بيان رتبتها. وسميته "إتحاف النبلاء في فضل الشهادة وأنواع الشهداء" ومن الله أطلب الإعانة والتوفيق، وأسأله الهداية لأقوم طريق.

مقدمة

لفظ (شهد) من معانيه حضر، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: من الآية185) أي حضره، ومن أسماء الله تعالى: الشهيد، لأنه حاضر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾(الحديد: من الآية4)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: من الآية61)، والشهيد أيضاً القتيل في سبيل الله، ويُجمعُ على شهداء، واستشهد بالبناء للمجهول: قتل في سبيل الله، والاسم (الشهادة).

واختلف في سبب تسميته شهيداً على أقوال:

أحدها: أنه مشهود له بالجنة. فشهيد: فعيل، بمعنى مفعول.

ثانيها: أن الملائكة تشهده، لتبشره، وهو بمعنى مفعول أيضاً.

ثالثها: أن أرواح الشهداء حضرت إلى الجنة. لأنهم أحياء عند ربهم وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة. فالشهيد بمعنى الحاضر للجنة.

رابعها: أنه شهد على نفسه لله عز وجل. حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد، فسمي شهيداً.

خامسها: أنه سقط على الأرض حين استشهاده، والأرض الشاهدة.

أما الشهادة بمعنى الخبر القاطع الذي يؤديه الشخص أمام محكمة، فيرجع معناها إلى الحضور أيضاً، لأن الشخص يقطع بالشيء الذي يحضره ويراه، أو يسمعه ولهذا قال الفقهاء: يشترط في الشهادة ثلاث شروط، لا تتم إلا بها وهي: الحضور، والوعي، والأداء.

أما الحضور: فهو شهود الشاهد للمشهود.

وأما الوعي: فهو ضبط ما شهده وعلمه.

وأما الأداء: فهو الإتيان بالشهادة على وجهها، عند الحاجة إليها.

ولهذه المناسبة ننبه على مسألتين:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿ومن يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ ليس المراد بالشهداء فيه: القتلى في سبيل الله، بل المراد الشهداء المذكورون في قوله تعالى: ﴿وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم﴾ وهم العدول في الدنيا والآخرة، القائمون بما أوجب الله عليهم من حقوقه وحقوق عباده. فلذلك جعلهم الله شهداء على الناس يوم القيامة، وهي رتبة عظيمة تلي رتبة الصديقين.

الثانية: الشهادة و الرواية، كلاهما خبر يؤديه الشاهد والراوي، غير أن العلماء أو جمهورهم اشترطوا في الشهادة شروطاً، لم يشترطوها في الرواية فقالوا: لا بد أن يكون الشاهد حراً بخلاف الرواية، فتجوز فيها رواية العبد. والشهادة لا تكفي فيها امرأة واحدة، بل من امرأتين. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ أما الرواية، فتكفي فيها امرأة واحدة، وسر ذلك يظهر من معرفة حقيقة كل منهما.

فالشهادة خبر عن أمر خاص، يمكن الترافع فيه إلى الحاكم، كالخبر بأن لفلان قِبَلَ فلان مبلغاً من المال، أو أن فلاناً سرق أو قذف أو قتل، مثلاً، فلما كانت الشهادة تتعلق بأشخاص معينين، تلزمهم بدفع مال، أو توجب جلدهم، أو قطع أيديهم، أو قتلهم، شدد الفقهاء في شروط حاملها، زيادة على شرط العدالة، حتى يطمئن المشهود عليه، ويتقبل الحكم راضياً.

و الرواية خبر عن أمر عام، لا ترافع فيه، كالأحاديث النبوية فإنها تعمم الأمة كلها، فاكتفى فيها بعدالة الراوي حراً كان أو عبداً، ذكراً أو أنثى، والمسألة مبسوطة في كتب الأصول، وفيما ذكرناه هنا كفاية.

فضل الشهادة

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة ﴾.

وروى النسائي عن أنس أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل. فيقول سل وتمنه فيقول: وما أسألك وأتمنى؟ أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة ﴾(صححه الحاكم على شرط مسلم)، وتمنه بهاء ساكنه، وهي هاء السكت، مثل الهاء في قوله تعالى: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾.

وروى أحمد والنسائي عن ابن أبي عميرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ما من نفس مسلمة يقبضها ربها تحب أن ترجع إليكم وأن لها الدنيا وما فيها غير الشهيد ﴾، قال ابن أبي عميرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل الوبر والمدَر ﴾(إسناده حسن).

أهل الوبر: هم أهل البادية، وأهل المدر– بفتح الميم و الدال– أهل المدن، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يفضل القتل في سبيل الله على امتلاك الدنيا، بحاضرتها وباديتها.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ﴾.

أفادت هذه الأحاديث عظم فضل الشهادة من جهتين:

الأولى: أن المسلم إذا دخل الجنة لا يحب أن يخرج منها ويرجع إلى الدنيا ضناً بنعيم الجنة أن يفارقه، وخوفاً من أن يذوق ألم الموت مرة أخرى، لكن الشهيد يتمنى أن يرجع

إلى الدنيا فيستشهد عشر مرات ليستكثر من فضل الشهادة الذي شاهده. أما ألم الموت، فإن الله صرفه عنه.

روى الترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة ﴾(صححه الترمذي وابن حبان).

الثانية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمنى أن يقتل في سبيل الله ثلاث مرات، ليعطى رتبة الشهادة، مضافة إلى رتبة النبوة، وقد أعطاه الله ما تمنى فمات شهيداً من أكلة خيبر صلى الله عليه وآله وسلم.

ويؤخذ من تمنيه عليه الصلاة والسلام: أن يقتل ويعود: أن الممتنع عادةً – وإن كان جائزاً في العقل– لا يطلب، ولا يدعى به؛ لأن سنة الله في الكون جرت بعدم وقوعه[1].

(1) وصرح الفقهاء بأنه لا يجوز الدعاء بالممتنع شرعاً أو عادة. فالأول: كأن يدعو بالرحمة للكافر. لأن النصوص الشرعية قاطعة في أن الكفار مخلدون في النار، ولا تنالهم الرحمة. قال الله تعالى: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾، وقال سبحانه: ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾، كذلك لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المسلمين، لأنه لابد من تعذيب طائفة من عصاتهم، كما ثبت به النص القاطع. والثاني: كأن يدعو الله بأن يحيه بعد الموت، ليجاهد مثلاً، أو يحيي أباه الذي مات، أو نحو ذلك.

فضل الشهداء

قال الله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾، روى الترمذي وابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أُحد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قلت: بلى قال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كِفاحاً فقال: يا عبد الله تمن عليَّ أُعطك قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ﴾ الآية كلها ﴾(حسنه الترمذي، وصححه الحاكم) كفاحاً، بكسر الكاف مواجهة، وهذا لا يعارض قول الله تعالى: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب. أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾، لأن الآية تتعلق بالدنيا، والمعنى: أن الله تعالى لم يكلم بشراً على قيد الحياة، إلا بطريق الوحي، كما أوحى للأنبياء و الرسل، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كلم موسى وآدم [1] عليهما السلام لأن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا، وعبد الله بن عمرو كلمه الله مواجهة بعد انتقاله إلى عالم الآخرة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ واعلموا أن أحداً منكم لا يرى ربه حتى يموت ﴾[2].

ثم يأتي سؤال وهو: لم اختص والد جابر بهذه الميزة؟

والجواب: أنه لم يوجد في شيء من طرق الحديث، ما يكشف عن سبب تلك الميزة، أو يُشير إليه، ونحن في حِلٍ من البحث عنه. ويكفينا اعتقاد ذلك تصديقاً للنص، ولكنا

---

(1) ثبت في الحديث عن أبي ذر مرفوعاً: أن آدم نبي مكلم، وظاهر القرآن يفيد ذلك أيضاً، انظر كتابنا "قصة آدم عليه السلام".

(2) وقد ذم الله اليهود لعنهم الله على طلبهم رؤيته في الدنيا لأنهم طلبوا ما لا يجوز، وموسى عليه السلام لما أكرمه الله بكلامه، طمع في رؤيته فطلبها فقال الله له: ﴿ لن تراني ﴾ أي لا تستطيع رؤيتي بجسمك الفاني في دار الفناء لكن تراني حين تصير من الخالدين في دار البقاء.

نحاول استخراجه باجتهادنا فنقول: أكرم الله والد جابر بهذه الكرامة فيما نظن لأنه كان عنده بنات، لم يتبرم بهن، رباهن وأكرمهن، ويوم استشهد أخبر ابنه جابراً بأنه مقتول وأوصاه بهن خيراً كما أوصاه بأنه يقضي دينه يضاف إلى ذلك تمثيل المشركين به.

روى الشيخان عن جابر أيضاً رضي الله عنه قال: جيء بأبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مُثِلَ به فوضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي، فسمع صوت صائحة. فقيل: ابنة عمرو أو أخت عمرو، قال: ﴿ لم تبكي؟ أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها ﴾، يفيد الحديث: أن الشهيد تظله الملائكة بأجنحتها، تكريماً له، وهو من خصوصيات هذه الأمة المحمدية.

وروى أبو داود في سننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته ﴾(صححه ابن حبان)، وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إذا وقف العباد للحساب، جاء قومٌ واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً فازدحموا على باب الجنة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين ﴾.

ذكر السيف في الحديث؛ لأنه السلاح الغالب استعماله في ذلك الوقت، ويلحق به السلاح المستعمل اليوم، فشهداء عصرنا يأتون يوم القيامة حاملين سلاحهم الذي استعملوه من بندقية ومدفع رشاش ومسدس وقنبلة وغيرها، ويؤخذ من الحديث: أن الشهداء لا يحاسبون.

روى الطبراني بإسناد حسن أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة: الذين يلتقون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف من الجنة يضحك إليهم ربك وإذا ضحك إلى قومٍ فلا حساب عليهم ﴾ يلفتون بفتح الياء، وضمها لحن،

يتلبطون: يضطجعون، يضحك إليهم ربك: يرضى عنهم. فضحك الله إلى العبد: رضاه عنه.

وروى أحمد وأبو يعلى في مسنديهما عن نعيم بن عمار رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الشهداء أفضل؟ قال: ﴿ الذين إن يَلقَوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حساب عليه ﴾(إسناده حسن)، يلقوا: بفتح الياء والقاف: أي يلقوا العدو. أفاد الحديث أن الله يضحك إلى الشهداء في الدنيا وذلك عند استشهادهم.

وروى الترمذي وابن ماجة عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ للشهيد عند الله ست خصال، يُغفَرُ له في أول دفعة من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه﴾(صححه الترمذي)، ورواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت بلفظ ﴿ إن للشهيد عند الله سبع خصال ﴾ فذكرها، وزاد عليها ﴿ ويحلى حلة الإيمان﴾(إسناده حسن).

لفظ ﴿ست خصال ﴾ غلط من بعض الرواة لسنن الترمذي. لأن الخصال في الحديث سبعة وكذلك لفظ ﴿ سبع خصال ﴾ غلط أيضاً من بعض رواة المسند، لأن الخصال ثمانية. يؤيد ذلك: أن المحدث أبا بكر أحمد النجاد أسنده من حديث المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ للشهيد عند الله ثماني خصال ﴾ وذكرها مثل حديث عبادة بن الصامت في مسند أحمد، وجدير ممن بذل نفسه لله دفاعاً عن دينه، وتصديقاً لوعده: أن يكرمه الله بتلك الخصال الثماني التي تدل على عناية الله بالشهيد، ورضاه عنه.

وروى النسائي عن راشد[1] بن سعد رضي الله عنه عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: ﴿ كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة ﴾(إسناده جيد). أفاد الحديث: أن الشهيد لا يسأله الملكان في قبره؛ لأن القصد بسؤالهما فتنة الميت وامتحانه، والشهيد قد امتحن بأهوال الحرب وفزعاتها، وتعرضه للموت مرات وهو ثابت حتى استشهد. فكان ذلك امتحاناً كافياً في الدلالة على قوة إيمانه.

وروى ابن حبان في صحيحه عن عتبة[2] بن عبد السلمي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الممتحن في جنة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فَرِق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك مُمَصمِصة تحُت ذنوبه وخطاياه. إن السيف محاء للخطايا، وأُدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب – ولجهنم سبعة أبواب– وبعضها[3] أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل[4] حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق ﴾(ورواه أحمد بإسناد جيد).

الممتحن بفتح الحاء: المشروح صدره. قال الله تعالى: ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي شرحها ووسعها، فرق بفتح الفاء وكسر الراء: خائف.

(1) في كتاب "التذكرة" للقرطبي: رشدين بن سعد. وهو خطأ من الناسخ، لم يتنبه له مصحح الكتاب.

(2) عتبة بالتاء المثناة الفوقية، ويأتي أحياناً في كتاب الترغيب والترهيب وغيره: عقبة بالقاف، وهو خطأ وأبوه: عبد بدون إضافة، ومن كتبه عبد الله فقد أخطأ.

(3) أي وبعض أبواب الجنة أفضل من بعض.

(4) أي بحسب زعمه ودعواه، لكن الله يعلم أنه منافق.

مُمَصمِصة: بضم الميم الأولى وفتح الثانية وكسر الثالثة: ماحية. تحت: بضم الحاء: تمحو. إن السيف محاء للخطايا: يفيد أن الشهيد تمحى عنه ذنوبه؛ لأنه بذل نفسه لله، فجوزي بتكفير ذنوبها، وكثير من الناس يعمم هذا الحكم في كل مقتول، فيقولون في الشخص المقتول في خصومة ونحوها: محيت عنه سيئاته، ويزيد بعضهم: أن القاتل يتحمل ذنوب المقتول، ويستدل بحديث: ﴿ ما ترك القاتل على المقتول من ذنب ﴾ وذلك كله خطأ، والحديث ليس بصحيح، وعلى فرض صحته فهو محمول على القتل في الجهاد، والمعنى: أن الكافر إذا قتل مسلماً لم يترك عليه ذنباً، لأن الشهيد تكفر ذنوبه كلها، أما المقتول في غير الجهاد فلا تمحى ذنوبه بقتله، ولو كان مظلوماً، نعم يكفر عنه بعضها باعتبار القتل مصيبة نزلت به.

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم شهداء الله ﴾ (قال الحاكم: صحيح الإسناد).

أفاد الحديث: أن الشهداء هم المستثنون من الصعق في الآية، وبهذا قال الإمام الحليمي، قال: وهو مروي عن ابن عباس، وروى النحاس في كتاب معاني القرآن بإسناده عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل: ﴿ إلا من شاء الله ﴾ قال: هم الشهداء، هم ثنية الله عز وجل، متقلدو السيوف حول العرش، وفي تعين المستثنين في الآية أقوال خلاف هذا ضعفها الإمام الحليمي.

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذكر الشهيد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿ لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه كأنهما ظِئْران أضلتا فَصِيليهما في براح من الأرض وفي يد كل واحدة منهما حُلة خير من الدنيا وما فيها ﴾.

ظئران: بكسر الظاء، وسكون الهمزة: ثنية ظئرة وهي المرضع.

فصيليهما: بفتح الفاء، وكسر الصاد: مثنى فصيل، ولد الناقة الرضيع. أضلتا: فقدتا.

براح بفتح الباء: واسع. حلة: بضم الحاء: كسوة.

والمعنى: أن الشهيد قبل أن يجف دمه على الأرض، تسرع إليه زوجتاه من الحور العين في لهفة وشوق وحنان، كأنهما ناقتان مرضعتان فقدتا ولدهما الرضيع، ثم وجدتاه في مكان واسع من الأرض، فأقبلتا عليه في عطف يفوق الوصف، ناهيك بعطف أم وجدت ولدها بعد افتقاده مدة، وإنما أحضرتا له كسوة، لأن ثيابه التي استشهد فيها تمزقت واتسخت بتراب الأرض.

وروى البخاري عن سمرة بن جندب – في حديث الرؤيا الطويل– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي في الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا لي: أما هذه فدار الشهداء ﴾.

ذنبٌ لا تكفره الشهادة

تقدم في الأحاديث السابقة أن الشهيد يُغفر له في أول دفعة من دمه، وأن ذنوبه تكفر باستشهاده. إلا أنه يستثنى منها أربعة أمور:

الأول: الدين: روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ يُغفرُ للشهيدِ كلُ ذنبٍ إلا الدين ﴾، وروى مسلم أيضاً عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فيهم فذكر: أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت[1] إن قُتِلتُ في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ﴾. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ كيف قلت؟ ﴾ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ﴾، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ كيف قلت؟ ﴾ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ نعم إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك ﴾.

أفاد الحديث: أن جبريل عليه السلام نزل خاصة ليخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن الدين لا يُغفر للشهيد، لأنه حق لآدمي، لم يتنازل عنه، نعم إن ترك الشهيد ما يقضى من دينه أو أوصى بأن يقضى عنه كما أوصى عبد الله ابنه جابراً حين خرج في غزوة أحد، أو قضاه عنه أحد أقاربه، أو بعض المسلمين، فإن الله يغفر له ولا يعاقبه.

الثاني: العقوق: ذكر شرحبيل بن سعد: أن أهل الأعراف قومٌ استشهدوا في سبيل الله، لكن خرجوا عصاة لآبائهم، وروى ابن مردويه عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة

(1) معنى "أرأيت" بفتح التاء: أخبرني.

قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمن استوت حسناته وسيئاته؟ وعن أصحاب الأعراف؟ فقال: ﴿ إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله ﴾، وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو معشر حدثنا يحي بن شبل عن يحي بن عبد الرحمن المدني عن أبيه: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصحاب الأعراف؟ فقال: ﴿ هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ﴾، ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به[1]، ورواه ابن ماجة من حديث ابن عباس، وأبي سعيد الخدري مرفوعاً، قال الحافظ ابن كثير: والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة. انتهى

الثالث: الأمانة: روى الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة و الأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع ﴾.

الرابع: النفاق: تقدم في حديث عتبة: أن الشهيد المنافق لا يُغفر له، ولا تُمحى خطاياه، وأن السيف لا يمحو النفاق، وكذلك الشهيد الكافر لا يغفر له؛ لأن شرط الشهيد أن يكون مسلماً، فكما لا تصح صلاة الكافر ولا صيامه، كذلك لا تصح شهادته.

(1) وأبو معشر ضعيف.

أرواح الشهداء في الجنة

قال تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾.

روى مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾، فقال: أما إنا فقد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿ أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حين شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: أي شيء نشتهي في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا ﴾، وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر تَرِدُ أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ الآية كلها ﴾ هذه الآية نزلت في شهداء أحد.

وروى أبو أحمد الحاكم في الكنى وابن منده عن طلحة بن عبيد الله – أحد العشرة– قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام– والد جابر– فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال: ﴿ ذاك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديلَ من زبرجد، وعلقها في وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه ﴾(إسناده ضعيف).

وروى الإمام مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه كعب كان يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إن نسمة المؤمن طائر يعلق من شجر الجنة ﴾، لفظ المؤمن هنا عام، فيحمل على الشهيد، أخذاً بالقاعدة الأصولية ويكون المعنى: أن روح الشهيد المؤمن طائر يعلق أي يأكل من شجرة الجنة، وإنما خصصنا عموم الحديث لإجماع الأمة على أنه لا يعجل الأكل والنعيم في الجنة لأحد إلا للشهيد في سبيل الله، حكى الإجماع القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين[1].

وغير الشهيد إذا كان صالحاً يملأ عليه قبره خضراً، ويوسع له فيه، ويذهب روحه إلى البرزخ مع تردده على القبر ليرد سلام الزائر، ويقبل ما يهدى إليه من دعوات وقراءة. قال الحافظ ابن عبد البر: ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿ ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ﴾.

وروى الحسين المروزي في كتاب الرقائق عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: إذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة من دمه إلى الأرض كفارة الخطايا ثم يرسل الله عز وجل بِرَيْطة [2] من الجنة فيقبض فيها روحه، وصورة من صور الجنة فيركب فيها روحه، ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء روح من الأرض طيبة، ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها، ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن فيقولون: يا ربنا هذا عبدك توفيته في سبيلك، فيسجد قبل الملائكة ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر و يغفر له، ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت

(1) لكن يرد عليه قول أبي هريرة وابن عمر الآتي: أرواح المؤمنين في الجنة.

(2) ريطة: بفتح الراء وسكون الياء: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفتين.

يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة. فإذا أمسى وكز الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه، فيجدون فيه طعم كل رائحة في الجنة، ويبيت الثور في أثناء الجنة فإذا أصبح عدا الحوت عليه فوكزه بذنبه، فيذكيه فيأكلون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة، ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة، ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة، فإذا توفي العبد المؤمن بعث الله عز وجل إليه ملكين، وأرسل إليهما بخرقة من الجنة فقال: اخرجي أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها بأنفه قط، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من قبل الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها.

حتى يؤتى بها الرحمن، فتسجد الملائكة ثم يقولون: هذا عبدك فلان قد توفيته وكان يعبدك لا يشرك بك شيئاً. فيقول: مروه فليسجد فتسجد النسمة، ثم يدعو ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، حتى أسألك عنها يوم القيامة. ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله، وينبذ له فيه الرياحين، ويستر بالحرير، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه جعل له في قبره نور مثل نور الشمس ويكون مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه. قال: فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته.

أين تذهب الأرواح بعد الموت

بمناسبة الكلام على أرواح الشهداء، نتكلم على مستقر الأرواح بعد مفارقة أجسادها، تتميماً للفائدة وبالله التوفيق.

اعلم أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة اختلافاً كبيراً، فحكى الحافظ أبو عبد الله ابن منده عن طائفة من الصحابة والتابعين: أن أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك، وحكى أيضاً عن طائفة من الصحابة والتابعين أيضاً أن أرواح المؤمنين بالجابية- بلد بالشام- وأرواح الكفار ببرهوت - بئر بحضرموت-.

وقالت طائفة أخرى: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببرهوت، وقال أبو هريرة وابن عمر: أرواح المؤمنين في الجنة شهداء وغيرهم. إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بعفوه ورحمته، وقالت جماعة: هم على باب الجنة يأتيهم من روحها ونعيمها، وقالت جماعة أخرى الأرواح على أفنية قبورها.

وقال كعب الأحبار: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جسد إبليس.

وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار في سجين، وقال إسحق بن راهويه وابن حزم وغيرهما: الأرواح كلها في السماء الدنيا حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام، وأرواح أهل الشقاء عن يساره، واستدل ابن حزم لهذا القول، وحكى إجماع أهل العلم عليه.

وبيان الراجح من هذه الأقوال يقتضي ذكر أدلتها والموازنة بينها، وذلك ليس من غرضنا في هذه الرسالة، ويكفي هنا أن تعرف أن أرواح الشهداء ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، لما تقدم في الأحاديث السابقة، ولما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء رضي الله عنها وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وآله

وسلم فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ – وكان قتل يوم بدر– فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء، فقال: ﴿ يا أم حارثة: إنها جنان في جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ﴾.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة ذا جناحين يطير منها حيث شاء مضرجة قوادمه بالدماء ﴾ (إسناده حسن)، جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قطعت يداه في سبيل الله يوم مؤتة فأبدله الله بهما جناحين.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان في غزو مؤتة قال: فالتمسنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدناه في القتلى فوجدنا بما أقبل من جسده بضعاً وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة.

تنبيه:

تقدم في حديث كعب بن مالك ﴿ نسمة المؤمن طائر ﴾ وفي رواية الأعمش عن عبد الله بن مرة عن بن مسعود ﴿ أرواح الشهداء عند الله كطير خضر ﴾، وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة ﴾.

قال الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار: "هذا كله مطابق لرواية مالك، فهو أصح من رواية من روى أن أرواحهم في جوف طير خضر. انتهى. وقال أبو الحسن القابسي: أنكر العلماء قول من قال: في حواصل طير، لأنها رواية غير صحيحة. لأنها إذا كانت كذلك، فهي محصورة مضيق عليها. انتهى. وقال القرطبي: الرواية صحيحة لأنها في صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل، فيحتمل أن تكون (في) بمعنى (على) فيكون المعنى: أرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى: ﴿ لأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ أي على جذوع النخل. وجائز أن يسمى الطير جوفاً إذا هو محيط به، ومشتمل عليه. قال أبو محمد عبد الحق: وهو حسن جداً" انتهى.

وقال إبراهيم بن شبيب في كتاب (الإفصاح): "المنعم على جهات مختلفة، منها: ما هو طائر يعلق في شجر الجنة، ومنها ما يأوي إلى قناديل تحت العرش، ومنها ما هو في حواصل طير أبيض، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتعود إلى جثتها تزورها، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل، ومنها ما هو في كفالة آدم عليه السلام، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم عليه السلام" انتهى.

قال القرطبي: "وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع والله بغيبه أعلم وأحكم" انتهى.

وكان المرحوم الأستاذ عبد الله الجيار، قد سألني مستشكلاً: كيف تكون روح المؤمن في حوصلة الطير؟ فذلك حبس لها، وتضييق عليها، وهو بمعنى كلام القابسي، وإن لم يطلع عليه. فأجبته: بأن الطير مركبة لها، كما يركب أحدنا سيارة تحمله من مكان إلى آخر، ثم وجدت ابن القيم يقول: إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، فإنهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم عنها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكوم فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديث فإنه قال: ﴿ نسمة المؤمن طير ﴾ فهذا يعمُّ الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: ﴿ هي في جوف طير ﴾ ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، انتهى.

وروى بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس وعن أبي عبد الله الشامي عن تميم الداري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء استقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة كل منهم يأتيه ببشارة من السماء. سوى بشارة صاحبه فإذا انتهى به إلى العرش خر ساجداً، فيقول الله عز وجل لملك الموت: "انطلق بروح عبدي فضعْه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب"﴾(إسناده ضعيف)[1].

(1) لضعف بكر ويزيد الرقاشي.

تنبيه آخر:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل، وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه الدين ﴾، هذا الحديث يوافق الحديث الصحيح الماضي ﴿ يغفر للشهيد كل الذنوب إلا الدين ﴾ وهذا يدل على أن الشهيد المدين لا يدخل الجنة من حين استشهاده ولا تكون روحه طيراً يعلق من شجر الجنة، فأين تكون؟

الجواب: تكون على نهر بباب الجنة يخرج إليها رزقها بكرة وعشياً.

روى عبد الله بن وهب وأحمد بن حنبل، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ الشهداء على بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً ﴾ فهؤلاء الشهداء هم الذين عليهم دين، ويلحق بهم من كان عليه حق لآدمي، قال القرطبي: لأن الدين ليس مختصاً بالمال.

شهيد البحر

روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها والمائد فيه كالمتشحط في دمه ﴾(قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري).

وروى ابن ماجة عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ لشهيد البحر مثل شهيدي البر، والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل وإن الله وكَّل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين، ولشهيد البحر الذنوب كلها والدين ﴾(قال القرطبي: في إسناده لين. أي ضعف) انتهى.

إنما كان لشهيد البحر هذا الفضل العظيم لما في ركوب البحر من مقاساة الأهوال، واقتحام المخاطر، ولقد شاهدنا فيه الموت عياناً حيث هاج علينا بالقرب من الإسكندرية،

وصار الموج يلف الباخرة لفاً، وهي تتأرجح كريشة في مهب الريح ونحن لا نملك أنفسنا من الدوار والميد والقيء، واستعد رجال الباخرة لإنزال قوارب النجاة، ثم نجانا الله تعالى فسلمنا. ومن الأمثال المتداولة المشهورة، راكب البحر مفقود والناجي منه مولود، ولذلك أفتى كثير من علماء المالكية بالأندلس، بأن ركوب البحر عذر يسقط فريضة الحج لعدم سلامة راكبه غالباً. وكان جدنا من قبل الأم، العلامة العارف سيدي أحمد بن عجيبة عزم على الحج، فركب الباخرة من طنجة ثم رجع من جبل طارق لأنه حصل له دوار وميد وقيء، حتى فاتته الصلاة عن وقتها فقال: لا يجوز الحج مع تضييع الصلاة، وإذا كان هذا حال راكب البحر في سفر اعتيادي آمن، فكيف حال راكبه في جهاد العدو وقتاله؟ لا شك أن الخطر يتفاقم والمتاعب تزيد.

ولهذا جاء في معاجم الطبراني الثلاثة عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من غزا في سبيل الله غزوة في البحر – والله أعلم بمن يغزو في سبيله– فقد أدى إلى الله طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب ﴾(إسناده ضعيف).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط بإسناد ضعيف أيضاً عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من فاته الغزو معي فليغز في البحر ﴾.

تنبيه:

قال القرطبي: الدَين إذا أخذه المرء في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك له وفاء فإن الله تعالى لا يحجبه عن الجنة إن شاء الله تعالى شهيداً كان أو غيره؛ لأن على السلطان فرضاً أن يؤدي عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من ترك دَيناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله، ومن ترك مالاً فلورثته ﴾، فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله تعالى يقضي عنه، ويرضي خصمه، والدليل على ذلك: ما رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن الدين ينقص [1] أو يقبض من صاحبه يوم القيامة إذا مات ولم يؤده إلا من ثلاث خلال. الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين ليتقوى به لعدو الله وعدوه، ورجل يموت عنده رجل مسلم لا يجد ما يكفنه فيه ويواريه إلا بدين، ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فإن الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة ﴾، وأما من استدان في سفه، أو سرف، فمات ولم يوفه أو ترك له الوفاء، ولم يوص به، أو قدر على الأداء فلم يوفه فهذا الذي يحبس به صاحبه عن الجنة، حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات فيحتمل أن يكون قوله عليه السلام في شهيد البحر عاماً في الجميع وهو الأظهر؛ لأنه لم يفرق بين دين ودين، ويحتمل أن يكون قوله فيمن استدان ولم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله ﴾(أخرجه البخاري). على أن حديث أبي أمامة في إسناده لين، وأعلى منه إسناداً وأقوى ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين ﴾، ولم يخص براً من بحر ثم ذكر القرطبي حديث أبي قتادة، ثم قال: وخرَّج الحافظ أبو نعيم بإسناده عن قاضي البصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله

(1) بالصاد المهملة مبنياً للمعلوم، أي ينقص من عمل المدين بقدر الدين الذي عليه، أو يقبض بالضاد المعجمة.

عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس؟ فيم أذهبت أموالهم؟ فيقول: يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقاً[1] فيقول الله عز وجل: أنا أحق من قضى عنك اليوم فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة ﴾(رواه من طرق) انتهى كلامه.

قلت: خلاصة هذا البحث أن شهيد البحر مثل شهيد البر يُكَفَر عنه كل شيء إلا الدين[2] والله تعالى أعلم.

(1) أو آفة من الآفات التي وقعت بغير تقصير منه.

(2) والعقوق و الأمانة والنفاق كما تقدم.

شهيد الجو

لشهيد الجو من الفضل مثل ما لشهيد البحر؛ لأن في ركوب الطائرة من الأخطار وعروض الميد والقيء مثل ما في ركوب الباخرة. بل قد يكون الخطر في ركوب الطائرة أعظم، ولقد ركبت طائرة في سفري إلى الحجاز فشاهدت ما حصل لبعض الركاب من دوار وقيء وكانت الطائرة تقع أحياناً في مطب جوي فترتج ارتجاجه ينخلع لها قلوب الركاب، ومن الناس من يختار ركوب الباخرة على ركوب الطائرة لأن الخطر فيها أشد.

ويستدل للقتال في الجو، بما ثبت في صحيح البخاري عن رفاعة الزرقي رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: ﴿ من خيار المسلمين ﴾ قال: كذلك من شهد بدراً من الملائكة. قلت: ﴿ كانت الملائكة في بدر يقاتلون من الجو. شاهدهم كثير من الصحابة، وبعض المشركين وكان المشرك في بدر تأتيه الضربة من فوق لا يدري من ضربه فيقع ميتاً ﴾.

تنبيه:

شهيد المعركة – وهو الذي قتل في ميدان الحرب– لا يغسل، ولا يصلى عليه سواء أقتل في معركة برية أم بحرية أم جوية أما ما ورد من صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شهداء أحد فيحمل على أحد أمرين:

إما أن يكون ذلك قبل نسخ الصلاة على الشهيد، وإما أن يكون معنى الصلاة الدعاء لهم والترحم عليهم.

وبقية الشهداء الآتية أنواعهم يغسلون ويصلى عليهم كسائر موتى المسلمين، وإنما جعلهم الشارع في حكم الشهداء، لخصلة خير اتصفوا بها، أو لمصيبة أصابتهم فقضت على حياتهم رحمة من الله لهم، وتفضلاً عليهم، والله ذو الفضل العظيم.

1– طالب الشهادة:

روى مسلم والأربعة عن سهل بن حنيف رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلغه الله منازل الشهادة وإن مات على فراشه»، وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه»، وروى الأربعة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك» (صححه الترمذي).

فواق: بضم الفاء، وتخفيف الواو: ما بين الحلبتين.

يفيد الحديث عظم فضل الجهاد، ويفيد أن من طلب الشهادة صادقاً بأن يكون قصده الجهاد في سبيل الله لنصرة دينه ثم مات على فراشه فإن الله يعطيه أجر شهيد ويبعثه

في زمرة الشهداء لأن الله علم صدق نيته وشرف قصده، والقرآن يؤيد هذا وذلك أن الهجرة قبل فتح مكة كانت مفروضة يعصي تاركها، وكان بعض الصحابة يموت في الطريق قبل وصوله إلى المدينة. فأنزل الله تعالى: ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ أي فقد حصل له أجر المهاجر، وكتب في زمرة المهاجرين.

وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ﴾، وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً خطب امرأة بمكة يقال لها: أم قيس فقالت: لا أتزوجك حتى تهاجر، فهاجر إلى المدينة وتزوجها فكُنا نسميه مهاجر أم قيس.

2- الميت في سبيل الله:

روى الآجري عن أبي مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله إنه شهيد، وإن له الجنة ﴾، ورواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عتيك مرفوعاً بمعناه.

فصل: خرج، قال الله تعالى: ﴿ ولما فصلت العير ﴾ أي خرجت من مصر، والمعنى أن المسلم إذا خرج للجهاد فمات في الطريق إلى الميدان موتاً معتاداً، أو وقع عن دابته كفرس أو ناقة أو صدمته سيارة أو لدغته حية أو عقرب فمات بذلك فإنه يكون شهيداً كما لو قتل في المعركة ويدخل الجنة.

جملة من الشهداء:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما تعدون الشهداء فيكم؟﴾ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال: ﴿إن شهداء أمتي إذن لقليل﴾ قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: ﴿من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد﴾ قال ابن مقسم: أشهد على أبيك – يعني أبا صالح – أنه قال: ﴿والغريق شهيد﴾.

وروى مالك والبخاري عن أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله﴾، وروى الأربعة إلا الترمذي عن جابر بن عتيك قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه، فاسترجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ﴿غلبنا عليك يا أبا الربيع﴾ فصاحت النسوة وبكين، وجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية﴾ قالوا: وما الوجوب[1] يا رسول الله؟ قال: ﴿إذا مات﴾ قالت ابنته: والله إني لأرجو أن تكون شهيداً، فإنك كنت قد قضيت جهازك. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن الله قد أوقع أجره على نيته، وما تعدون الشهادة؟﴾ قالوا: القتل في سبيل الله. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله، المبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد،

(1) هذا يدل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان واسع العلم باللغة العربية حتى كان الصحابة– وهم عرب– يسألونه عن ألفاظ منها لا يعرفونها، وسيأتي سؤال عائشة له عن الطاعون، ولهذا قال الإمام الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة العربية إلا نبي، وذلك لسعتها، وتعدد فنونها.

والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد ﴾(صححه ابن حبان).

وروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دخلنا على عبد الله بن رواحة نعوده فأغمي عليه. فقلنا: رحمك الله، إن كنا لنحب أن تموت على غير هذا، وإن كنا لنرجو لك الشهادة، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نذكر هذا فقال: ﴿ وفيم تعدون الشهادة؟ ﴾ فأرم القوم، وتحرك عبد الله فقال: ألا تجيبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ثم أجابه هو. فقال: نعد الشهادة في القتل، فقال: ﴿ إن شهداء أمتي إذن لقليل. إن في القتل شهادة، وفي الطاعون شهادة، وفي البطن شهادة، وفي الغرق شهادة، وفي النفساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة ﴾.

أرم: بفتح الراء وتشديد الميم: سكت. جمعاً: بفتح الجيم وضمها وكسرها.

وروى الطبراني أيضاً عن ربيع الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد ابن أخي جبر الأنصاري فجعل أهله يبكون عليه فقال لهم جبر: لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصواتكم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ دعهن يبكين مادام حياً، فإذا وجب فليسكتن ﴾، فقال بعضهم: ما كنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أوما القتل إلا في سبيل الله؟ إن شهداء أمتي إذاً لقليل، إن الطعن شهادة، والبطن شهادة، والطاعون شهادة، والنفساء بجمع شهادة، و الحرق شهادة، والغرق شهادة، وذات الجنب شهادة ﴾(رجال إسناده محتج بهم في الصحيح)، الحرق بفتح الحاء والراء: النار.

وروى أحمد عن راشد بن حبيش رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على عبادة بن الصامت يعوده في مرضه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أتعلمون من الشهيد من أمتي؟ ﴾ فأرم القوم، فقال عبادة: ساندوني، فأسندوه.

فقال: يا رسول الله الصابر المحتسب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن شهداء أمتي إذاً لقليل. القتل في سبيل الله عز وجل شهادة، والطاعون شهادة، والغرق شهادة، والبطن شهادة، والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة ﴾، قال: وزاد أبو العوام: ﴿ سادن بيت المقدس والحرق والسل ﴾(إسناده حسن).

اشتملت هذه الأحاديث الخمسة- وهي حديث أبي هريرة، وحديث جابر بن عتيك، وحديث عبادة بن الصامت، وحديث ربيع الأنصاري، وحديث راشد بن حبيش وهو صحابي معروف – على أنواع من أسباب الشهادة غير القتل في ميدان المعركة، نفصلها فيما يلي:

1– الطاعون:

وهو وباء معروف، نسأل الله العافية منه ومن كل بلاء، صحت الأحاديث فيه: أنه شهادة. ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ الطاعون شهادة لكل مسلم ﴾، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطاعون فقال: ﴿ كان عذاباً يبعثه الله على من كان قبلكم فجعله الله رحمة للمؤمنين. ما من عبد يكون في بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد ﴾.

وروى أحمد بإسناد حسن عن أبي عسيب رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أتاني جبريل عليه السلام بالحمى و الطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة و أرسلت الطاعون إلى الشام فالطاعون شهادة لأمتي ورجز على الكافر ﴾.

وروى أحمد بإسناد حسن أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الطاعون: ﴿ الفارُّ منه كالفارِّ من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد ﴾ الفارّ: بتشديد الراء: الهارب.

وروى الحاكم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ اللهم اجعل فَنَاءَ أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون ﴾(قال الحاكم: صحيح الإسناد).

وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا تفنى أمتي إلا بالطعن و الطاعون ﴾ قلت: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفنا، فما الطاعون؟ قال: ﴿ غدةٌ كغدة البعير، المقيم بها كالشهيد، والفارُّ منه كالفارِّ من الزحف ﴾.

وفي الطاعون أحاديث غير هذه، جمعها الحافظ ابن حجر في جزء سماه (بذل الماعون في أخبار الطاعون) ثم الحافظ السيوطي جمع جزءاً سماه (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون).

2- المبطون:

وهو الذي يشتكي بطنه من إسهال، أو استسقاء أو نحو ذلك، يقال: بُطِن بضم الباء وكسر الطاء: إذا اشتكى بطنه فهو مبطون.

روى الترمذي عن أبي اسحاق السبيعي قال: قال سليمان بن صُرد لخالد بن عرفطة: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ من قتله بطنه لم يعذب في قبره ﴾؟ فقال أحدهما لصاحبه: نعم. (حسنه الترمذي وصححه ابن حبان).

وروى النسائي عن جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالساً عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطه فذكرا أن رجل مات ببطنه فاشتهيا أن يشهدا جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من يقتله

بطنه لن يعذب في قبره ﷺ؟، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني جامع بن شداد فذكره.

وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد حدثنا أبو عوانا عن داود بن عبد الله عن حميد بن عبد الرحمن – هو الحميري– قال: كان رجل يقال له: حممة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى أصبهان غازياً في خلافة عمر– قال: وفتحت أصبهان في خلافته– فقال: اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك فإن كان حممة صادقاً فاعزم له عليه وصدقه، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا، قال: فأخذه بطنه فمات بأصبهان. فقام أبو موسى فقال: يا أيها الناس ألا وإنا فيما سمعنا من نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، وفيما بلغنا علمه: ﷺ إلا أن حممة شهيد ﷺ(ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وأحمد، وإسناده صحيح).

3– الغريق:

إذا سافر الشخص في البحر سفراً مباحاً، أو سفر طاعة ثم هاج البحر فغرق فإنه يكون شهيداً كما تقدم في الأحاديث السابقة، أما لو ركب البحر عاصياً لأبويه، أو أحدهما، أو قاصداً سرقة، أو قتلاً أو غير ذلك من المعاصي فغرق فإنه لا يكون شهيداً، بل هو عاصٍ بحسب نيته كذلك المسافر في البر أو البحر، لا يجوز له قصر الصلاة أو فطر رمضان إذا كان عاصياً بسفره لقوله تعالى: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾.

4– المطعون:

وهو الذي يطعن بالرمح مثلاً فيموت من تلك الطعنة فهو شهيد.

5– صاحب الهدم:

وهو الذي وقع عليه بيتٌ أو نحوه فمات تحت الهدم فإنه شهيد.

6- صاحب ذات الجنب:

وذات الجنب: دُمل أو خُراج كبير يظهر في باطن الجنب، وينفجر إلى داخل، وقلما يسلم صاحبها، وذو الجنب: الذي يشتكي جنبه بسبب ذلك الدُمل، أو الخارج وهو يسمى: "دبيلة". قال القرطبي وفي بعض الآثار المجنوب شهيد. يريد صاحب الجنب يقال منه: رجلٌ جَنِب بكسر النون، وفتح الجيم: إذا كانت به ذات الجنب وهي: (الشوصة).

7- صاحب الحريق:

وفي رواية تقدمت (والحريق شهادة) يعني أن المسلم إذا مات محترقاً بالنار غير منتحر فإنه يكون شهيداً، ولو أحرقته نار قنبلة أو نحوها من الأسلحة الحديثة فإنه شهيد أيضاً.

8- المرأة تموت بجمعٍ:

وهي التي تموت بالنفاس وولدها في بطنها، وقيل: التي تموت بالنفاس سواء ألقت ما في بطنها أو لا، وقيل: التي تموت عذراء لم يمسها الرجال، وقيل: التي تموت قبل أن تحيض، والصحيح: الأول: يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: ﷺ والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة ﷺ.

9- سادن بيت المقدس:

السادن في الأصل: خادم الكعبة، ثم أطلق على كل خادم لأماكن العبادة، والمراد هنا خادم المسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وكان إليه مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل سادن المسجد الحرام، والمسجد النبوي كذلك؟ لكونهما أفضل منه؟ أو يختص به النص؟ محل نظر.

10- المريض بالسل:

وهو مرض معروف عافانا الله منه بِمَنِّهِ.

فهذه عشرة أنواع من الشهادة الحكمية اشتملت عليها الأحاديث الخمسة المذكورة، لكن ثبت في أربعة منها حديث يفيد تقيدها بأن تكون في سبيل الله، وهو ما رواه

النسائي عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ خمسٌ من قبض في شيء منهن فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد، والغريق في سبيل الله شهيد، والمبطون في سبيل الله شهيد، والمطعون في سبيل الله شهيد، والنفساء في سبيل الله شهيد ﴾.

ظاهر هذا الحديث: أن الغريق ومن ذكر بعده لا يكونون شهداء إلا إذا كانوا في سبيل الله مع أن الأحاديث الماضية أثبتت لهم الشهادة من غير تقييد ﴿ في سبيل الله ﴾ إلا أن يجاب بأن الجار والمجرور متعلق بالخبر، وهو شهيد، ويكون المعنى: والغريق شهيد في سبيل الله...الخ، وعلى هذا لا إشكال، أو أن التقييد لإفادة أن الغرق وما معه لا يكون شهادة إلا إذا كان في سبيل الله بأن يكون مأذوناً فيه أو في سببه، أما إن كان في سبيل الشيطان بأن كان معصية فلا يكون شهادة كأن غرق وهو في طريقه إلى قتل أو سرقة مثلاً، أو اشتكى بطنه لتناول محرم. كسم أو خمر مثلاً، أو كان النفاس بسبب نكاح غير شرعي هذا ما ظهر لي في تأويل هذا الحديث، والله أعلم بمراد رسوله.

11- المقتول دون ماله:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت [1] إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال: ﴿ فلا تعطه مالك ﴾ قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: ﴿ قاتله ﴾ قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: ﴿ فأنت شهيد ﴾ قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: ﴿ فهو في النار ﴾.

ورواه النسائي ولفظه: قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت إن عدى على مالي؟ قال: ﴿ فانشد بالله ﴾ قال: فإن أَبَوْا عليَّ قال: ﴿ فانشد بالله ﴾ قال: فإن أَبَوْا عليَّ قال: ﴿ فانشد بالله ﴾ قال: فإن أَبَوْا عليَّ قال: ﴿ فقاتل فإن قُتلت ففي الجنة وإن قَتلت ففي النار ﴾.

(1) بفتح التاء أي أخبرني.

يبين هذا الحديث حكم الصائل الذي يريد أخذ مال الرجل بالقوة والغلب فأمر صاحب المال أن يناشده الله، ويستحلفه به ثلاث مرات فإن أبى لرابع مرة وأصر على أخذ ماله قاتله ودافع عن حقه، فإن قتله الصائل كان شهيداً ودخل الجنة؛ لأنه قُتل وهو يدافع عن حق له، وإن قتل هو الصائل دخل النار لأنه ظالمٌ متعد يريد أخذ مال الناس بغير حق، ولأحكام الصائل باب مخصص في كتب الفقه الإسلامي، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد ﴾ ورواه الترمذي بلفظ: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد ﴾ وفي رواية للنسائي: ﴿ من قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد ﴾.

12- المقتول دون مظلمته:

روى النسائي عن سويد بن مقرن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من قتل دون مظلمته فهو شهيد ﴾(صححه الضياء المقدسي)، مظلمة: بفتح الميم واللام: ما أخذ من الشخص ظلماً كأرض أو بهيمة أو ثياب أو ما أشبه ذلك.

وروى أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ما من مسلم يُظلمُ مظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيداً ﴾(إسناده حسن).

15,14,13- المقتول دون دينه أو أهله أو دمه:

كل واحد من هؤلاء الثلاثة شهيد.

روى الأربعة عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن

قتل دون دينه[1] فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ﴾(قال الترمذي: حديث حسن صحيح).

16- موت الغربة:

روى ابن ماجة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ موت الغربة شهادة ﴾، وروى الدارقطني بلفظ: ﴿ موت الغريب شهادة ﴾، ورواه أيضاً من حديث ابن عمر وصححه، وروى أبو بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من مات غريباً مات شهيداً ﴾، ورواه الخرائطي أيضاً من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من مات غريباً مات شهيداً ﴾[2].

17- الميت مريضاً:

روى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من مات مريضاً مات شهيداً، ووقي فتنة القبر وغدى عليه، وريح برزقه من الجنة ﴾(إسناده ضعيف)، ليس المراد بالحديث مطلق المرض بل هو محمول على مرض الطاعون لما رواه النسائي وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ يختصم الشهداء و المتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون في الطاعون فيقول الشهداء: قتلوا كما قتلنا، ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا

---

(1) يعني في غير الجهاد كما حصل لمسلم هندي اسمه: عبد القيوم فإنه سمع انجليزياً من حكام الهند يشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتله وقدم للمحاكمة فحكم بإعدامه ولما سمعت والدته الحكم فرحت لأن ابنها سيموت شهيدا، وهو شهيد بحق رحمه الله؛ لأن الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفاع عن الدين والله تعالى يقول: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ يعني يجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم فداء لنفسه الكريمة على الله.

(2) وروى الطبري والثعلبي والبيهقي في الشعب من طريق شريح بن عبيد الحضرمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إن الإسلام بدا غريباً وسيعود غريباً، ألا لا غربة على مؤمن. ما مات مؤمن في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء و الأرض ﴾.

ماتوا على فرشهم كما متنا فيقول ربنا تبارك وتعالى: انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم قد أشبهت جراح المقتولين ﴾، وروى الطبراني بإسناد لا بأس به عن عتبة بن عبد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقول أصحاب الطاعون نحن الشهداء، فيقال انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً كريح المسك فهم شهداء، فيجدونهم كذلك ﴾.

فهذان الحديثان يؤيدان أن المراد بالمرض في حديث من مات مريضاً – إن صح– مرض الطاعون، ثم إن الأحاديث عينت أمراضاً ثلاثة، وصفت أصحابها بالشهادة وهي: الطاعون والبطن والسل، فلو كان كل مرض يحق لصاحبه الشهادة ما كان لتخصيص تلك الأمراض بالذكر معنى.

ثم وجدت القرطبي في التذكرة قال: ما نصه: قوله عليه السلام: ﴿ من مات مريضاً مات شهيداً ﴾ عام في جميع الأمراض لكن قَيّدهُ في الحديث الآخر ﴿ من يقتله بطنه ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه الذي يصيبه الذرب، وهو الإسهال لقول العرب: أخذه البطن إذا أصابه الداء، وذرب الجرح: إذا لم يقبل الدواء، وذربت معدته: فسدت.

الثاني: أنه الاستسقاء، وهو أظهر القولين فيه لأن العرب تنسب موته إلى بطنه، تقول: قتله بطنه، يعنون: الداء الذي أصابه في جوفه، وصاحب الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذرب. فكأنما قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أن عقله لا يزال حاضراً، وذهنه باقياً إلى حين موته، ومِثلُ ذلك صاحب السل، إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة أو من يموت بالسام والبرسام والحميات لشدة الآلام ولورم أدمغتهم ولفساد أمزجتها، فإذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضر، وهو عارف. انتهى.

ومعنى هذا: أن المبطون وصاحب السل يَعرِفان لآخر لحظة: أنهما مقدمان على الموت، وهما صابران محتسبان، فكانا شهيدين كالذي يذهب للقتال، وهو عارف أنه مقتول فيصبر للمقاتلة وهو متوقع للموت في أي لحظة حتى يستشهد.

18- قراءة آخر سورة الحشر:

روى الترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من قال حين يصبح- ثلاث مرات- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وَكَّلَ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حين يمسي، فإن مات من يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك ﴾ قال الترمذي: حديث حسن غريب، كذا نقل عنه القرطبي، ونقل ابن كثير: أنه قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري عن خالد بن طهمان عن أبي العلاء الحقاف عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار وهذا إسناده ضعيف.

وهذه الآيات من آخر سورة الحشر: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(الحشر: 21- 24)

وروى الثعلبي من طريق يزيد الرقاش عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ فمات من ليلته مات شهيداً ﴾. يزيد الرقاش ضعيف.

19- الميت متوضئاً:

روى الآجري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة ﴾ قلت: هذا الحديث قطعة من حديث طويل، يعرف بوصايا أنس، وهو حديث غير صحيح[1].

20- صلاة الضحى:

روى أبو نعيم من طريق الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد ﴾(إسناده ضعيف).

21- طالب العلم:

روى البزار عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد ﴾(إسناده ضعيف)، وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة ﴾(إسناده ضعيف أيضاً)، وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من خرج في طلب لعلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ﴾ قال الترمذي حديث حسن، وروى الطبراني في الكبير عن أبي الردين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما من قوم يجتمعون على كتاب الله يتعاطونه بينهم إلا كانوا أضيافاً لله وإلا حفتهم الملائكة حتى يقوموا أو

(1) لكن جاء في حديث عبد الرحمن بن سمرة في رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي رأى فيها أعمالاً تنجي من أهوال يوم القيامة: ﴿ ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ﴾ وقد حسنه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب و الترهيب).

يخوضوا في حديث غيره، وما من عالم يخرج في طلب علم مخافة أن يموت أو انتساخه مخافة أن يدرُس[1] إلا كان كالغازي الرائح في سبيل الله، ومن يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه ﷺ.

22- العاشق العفيف:

روى الخطيب الحافظ من طريق سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﷺ من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ﷺ[2]، ورواه الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورواه الخطيب أيضاً من طريق سويد عن أبي مسهر[3] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﷺ من عشق فعف ثم مات مات شهيداً ﷺ، وفي رواية: ﷺ من عشق وعف وكتم وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ﷺ.

تكلم العلماء في هذا الحديث حتى حكوا عن يحيى بن معين أنه قال: لو كان عندي فرس ورمح لغزوت سويد بن سعيد أي لأنه كفر بهذا الحديث فيما ظنوا، لكنه لم ينفرد به وممن ضعف هذا الحديث ابن القيم في زاد المعاد.

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله جزء (درء الضعف عن حديث من عشق فعف) وليس ذلك الجزء بيدي الآن؛ لأني بعيد عن كتبي ومراجعي غير أني أقول: ليس في إسناده كذاب، ولا متهم بالكذب، وهو موافق للقواعد والأصول ففي الصحيحين في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله: ﷺ ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني

---

(1) بضم الراء: يذهب.

(2) في الحديث دليل لمسألة نحوية وهي: مجيء فاءات العطف متعاقبة، ومثله قوله تعالى: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها فلا يخاف عقباها﴾ في قراءة ورش وقراءة حفص ﴿ولا يخاف عقباها﴾.

(3) هو علي بن مسهر.

أخاف الله ﷻ أكرمه الله بهذه الفضيلة لامتناعه عن المعصية مع وجود الداعية إليها، كذلك أثنى الله على يوسف عليه السلام؛ لأنه بعد أن هم بالمرأة التي دعته إلى نفسها رجع عنها قبل أن يعزم، وقال: معاذ الله.

والعاشق الذي يعف عن المعصية مع إلحاح العشق، وتوقان النفس، وتزين الشيطان، ويصبر ويقاوم مع كتمان حاله حتى يموت بقصة حبه جدير بأن يكون شهيداً؛ لأنه جاهد عدوين: نفسه والشيطان، وقد حارباه بسلاح العشق، وهو لا يكاد يخطئ المقاتل، بل قد يؤدي بصاحبه إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

قال القرطبي: يروى أنه كان بمصر رجل ملازم للمسجد للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوماً المنارة على عادته ليؤذن، وكان تحت المنارة دار لنصراني دقي فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار فأفتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك، ما تريد، فقال: أنتِ أريد، قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لُبي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانيه وأبي لا يزوجني بك، قال لها: أتنصر، قالت: إن فعلت أَفعل، فتنصر ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بها، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة ومن سوء الخاتمة. انتهى كلام القرطبي.

فما أوقع هذا البائس في هذه المصيبة إلا عشقه الجارف الذي أخذ عقله، ولم يدع له مجالاً للتفكير في شيء سوى محبوبته التي هام بها، ولو أنه قاوم عشقه، وكبح جماح نفسه حتى مات لم يبعد في كرم الله أن يجعله من الشهداء.

وقد وقع نظير هذه القصة في الأندلس لأديب نحوي، قال الوزير جمال الدين القفطي في كتابه (إنباه الرواة بأنباء النحاة): أحمد بن كليب النحوي، أديب شاعر أندلسي، قد أفرط في حب أسلم ابن قاضي الجماعة إلى أن مات بذلك. وكان أسلم بن أحمد بن

سعيد شاعراً أديباً أيضاً، وله كتاب في أغاني زرياب، وكان من أحسن أهل زمانه وأجملهم، فوقع في حبه أحمد بن كليب، وقال فيه أشعاراً حتى غنى بها المغنون في الأعراس، فانقطع أسلم عن مقابلته، فمرض حتى مات بمرضه ولما حضرته الوفاة – وكان شيخه أبو عبد الله محمد بن خطاب النحوي يعوده– قال له: اسمع مني:

أســـــلم يـــــا راحـــــة العليـــــل رفقـــــاً علـــــى الهـــــائم النحيـــــل

وصـــــلك أشـــــهى إلى فـــــؤادي مـــــن رحمـــــة الخـــــالق الجليـــــل

ومات عقبها، فانظر كيف وصل به العشق إلى هذه الخاتمة القبيحة؟! نسأل الله السلامة والعافية من غضبه وعقابه.

23– المقتول صبراً:

روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ قتل الرجل صبراً كفارة لما قبله من الذنوب ﴾، وروى البزار أيضاً عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ قتل الصبر لا يمر بذنب إلى محاه ﴾، قتل الصبر: أن يقتل الشخص محبوساً مقيداً، وهو منهي عنه في الحيوان. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ﴾، فإذا كان الإنسان مؤموراً بإراحة الحيوان المذبوح، وذلك بألا يقيد، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن من يصبر الدجاجة ليرميها فلا شك أن تقييد الإنسان حال قتله يكون أشد تحريماً وأعظم إثماً، ويكون المقتول صبراً تُكَفَّرُ ذنوبه كلها كالشهيد.

24– موت يوم الجمعة أو ليلتها:

روى أبو نعيم من طريق عمر بن موسى الوجيهي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء ﴾ قال أبو

نعيم: غريب من حديث جابر ومحمد. تفرد به عمر بن موسى الوجيهي. انتهى. **قلت:** والوجيهي: وضَّاع.

وروى أحمد والترمذي من طريق ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر ﴾ قال الترمذي: هذا حديثٌ حسن غريب وليس إسناده بمتصل، ولا تعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو. انتهى.

ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من طريق ربيعة بن سيف الاسكندري عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر ﴾(وهذا إسناده متصل).

25- المصروع عن دابته:

روى الطبراني عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من صُرِع عن دابته فهو شهيد ﴾(إسناده ضعيف)، صُرِع بضم الصاد: سقط عنها، والمراد صرع عن دابته وهو راكب بنية الجهاد كما سبق في بحث: الميت في سبيل الله.

26- الآمر لأمير جائر:

روى الحاكم والضياء المقدسي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قال إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ﴾ صححاه.

الشخص الذي يقوم إلى إمام جائر فيأمره بالعدل وإتباع الحق، وينهاه عن الظلم والانحراف وهو يعلم جوره وبطشه، فيغضب عليه الإمام ويقتله يكون من سادات الشهداء؛ لأنه ضحى بنفسه وحياته في سبيل كلمة حق يقولها ونصيحة يبذلها.

27- المؤذن المحتسب:

روى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه، وإذا مات لم يدود في قبره ﴾، وروى الطبراني أيضاً عن ابن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ والمؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه يتمنى على الله ما يشتهي بين الآذان والإقامة ﴾(حديث حسن)، وروى ابن ماجه والدارقطني في سننهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بكل أذان ستون حسنة، وبكل إقامة ثلاثون حسنة ﴾(صححه الحاكم على شرط البخاري).

تنبيه:

قوله في الحديث الأول: ﴿ وإذا مات لم يدود في قبره ﴾ يفيد أن المؤذن المحتسب إذا مات لا يبلى جسمه مثل شهيد المعركة وقد أثبتت المشاهدة ذلك.

قال ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء: كتب إليَّ أبو عبد الله محمد بن خلف بن صالح التيمي: أن اسحق بن أبي نباتة مكث ستين سنة يؤذن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد- يعني بالكوفة- وكان يعلم الغلمان في الكتاب ولا يأخذ الأجر ومات قبل أن يحفر الخندق بثلاثين سنة، فلما حفر الخندق، وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه، ووقع قبره في الخندق فاستخرجوه كما دفن لم يتغير فيه شيء إلا أن الكفن قد جف عليه ويبس، والحنوط محطوط عليه وكان خضيباً فرأوا وجهه مكشوفاً وقد ظهر الحناء في أطراف الشعر فمضى المسيب بن زهير إلى أبي جعفر المنصور وهو على شاطئ الفرات فأخبره فركب أبو جعفر في الليل حتى رآه فأمر به فدفن بالليل لئلا يفتتن الناس.

28- المائد في البحر:

روى أبو داود عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد والغريق له أجر شهيد ﴾.

أم حرام بنت ملحان صحابية جليلة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل عليها فتطعمه وينام عندها، ودخل بيتها ذات مرة كعادته فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام صلى الله عليه وآله وسلم ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: يا رسول الله ما يضحكك. قال: ﴿ ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ﴾، قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها، ثم نام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: ما يضحك يا رسول الله؟ قال: ﴿ ناسٌ عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله ﴾ كما قال في الأولى، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: ﴿ أنت من الأولين ﴾.

فلما كان زمن معاوية بُعث زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه يغزو قبرص فركبت البحر معه وكان أمير الغزوة، فلما نزلوا إلى البر ركبت دابة، فصرعت عنها، فماتت شهيدة رضي الله عنها، وتقدم حديثان في المائد عند الكلام على شهيد البحر.

29- المتمسك بالسنة:

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد ﴾.

إذا انتشرت البدع بين المسلمين في العقيدة كبدعة الاعتزال أو الجهمية أو في التعصب للمذاهب الفرعية، واتخاذ كلام الأئمة دلائل تؤول لها ظواهر الكتاب والسنة، أو إحداث ما لا تشهد له قواعد الشرع، أو لا تؤيده نصوصه وجب التمسك بالسنة والدفاع عنها ونشرها بين المسلمين، ولما كانت السنة صنو الكتاب وعليهما ينبني الدين الإسلامي كان

المتمسك بها والمدافع عنها شهيداً في حكم الشريعة؛ لأنه إنما تمسك بالدين وجاهد في دفع الفساد عنه كما جاهد شهيد المعركة في الميدان.

هذا ما جاء في الأحاديث من أنواع الشهداء[1] ذكرناه باستيفاء حسبما بلغه علمنا، ووصل إليه اطلاعنا مبينين رتبة الحديث وموضحين ما فيه من إشكال أو إبهام.

وللحافظ السيوطي رسالة أبواب السعادة في أسباب الشهادة ليست هي عندي الآن، ولكنها – فيما أظن– لا تزيد على ما في كتابنا هذا والحمد لله زيادة ذات قيمة.

(1) بقي حديث "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله في زمرة الشهداء" وهو حديث ضعيف.

الأولياء يعطون أجور الشهداء

روى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله يأبى لها الذبح وإن لله خلقاً من خلقه يأبى لهم الذبح: أقوام يجعل موتهم على فرشهم ويقسم لهم أجور الشهداء ﴾.

وروى الطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن لله تعالى ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمته يحييهم في عافية ويميتهم في عافية وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته أولئك تمُرُّ عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية ﴾.

والأولياء جاهدوا أنفسهم في الله وخالفوا هواها حتى نالوا رضا الله، وصاروا ضنائن له يُحْيِيهِم في عافية وينجيهم من فتن الوقت و أغياره فإذا ماتوا على فرشهم قسم لهم أجور الشهداء لجهادهم في ذات الله وفنائهم فيه ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم.

خاتمة

لا يفهمن أحد من الأحاديث التي أوردناها داخل الكتاب في فضل الطاعون والسل وغيرها: أنها تُرَغِب في الاستسلام للمرض وتؤيد عدم مقاومته فإن هذا فهم مخطئ، وقد يكون خاطئاً إذا كان عن سوء قصد؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالتداوي وكان إذا مرض يعالج نفسه بالأدوية المعروفة في ذلك الوقت كما يصف الدواء لصحابته الكرام، وقد جُمع طبه عليه الصلاة والسلام في كتب خاصة مثل كتاب الطب النبوي لأبي نعيم وللمستغفري، وفي كتاب زاد المعاد من طبه صلى الله عليه وآله وسلم شيء غير قليل، وصرح علماء الإسلام بأن تعلم علم الطب فرض كفاية، وأن علم صحة الأبدان يعادل علم صحة الأديان.

لكن في بعض الحالات يستعصي الداء، ولا ينجع دواء، ويتجه الطبيب والمريض إلى رب الأرض والسماء.

فتلك الأحاديث جاءت لعلاج مثل هذه الحالات – وهي غير قليلة– وكأنها تقول للمريض الذي عجز الطب عن علاجه: لا تيأس من روح الله وفضله فإنك إذا صبرت واحتسبت أعطيت ثواب شهيد، ولا يضيع مرضك سدى، وهذا علاج روحي عظيم وهو من محاسن الدين الإسلامي ومن خصوصياته التي تميز بها على سائر الأديان.

حكاية الشباب الذي باع نفسه لله

روينا عن عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد المشهور قال بينما أنا يوماً في مجلسنا هذا وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيأوا غداة الإثنين وقد قرأ رجل في مجلسنا: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ الآية. فقام غلام ابن خمس عشرة سنة أو نحو ذلك – وقد مات أبوه وأورثه مالاً كثيراً– فقال: يا عبد الواحد إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؟ فقلت: نعم حبيبي، فقال: إني أشهدك يا عبد الواحد أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة. فقلت له: إن حد السيف أشد من ذلك وأنت صبي وإني أخاف عليك ألا تصبر وتعجز عن ذا البيع. فقال لي: يا عبد الواحد إني أبايع الله بالجنة ثم أعجز؟ إني أشهدك أني بايعت الله.

فتقاصرت إلينا أنفسنا فقلنا: صبي يفعل ونحن لا نفعل؟ قال: فخرج من ماله كله – يعني تصدق به– إلا فرسه وسلاحه ونفقته.

فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال: السلام عليك يا عبد الواحد. فقلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، اربح البيع، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار، ويقوم الليل، ويخدمنا ويرعى دوابنا، ويحرسنا إذا بتنا حتى دفعنا إلى بلاد الروم، فبينما نحن كذلك يوماً إذ أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضية! حتى قال أصحابي: لعله وسوس الغلام أو خلط عقله حتى دنا وجعل ينادي: يا عبد الواحد لا صبر لي، واشوقاه إلى العيناء المرضية. فقلت: حبيبي وما هذه العيناء المرضية؟ قال: إني غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني آت فقال: أَذهب بك إلى العيناء المرضية، فهجم بي على روضة فيها شط نهر ماء غير آسن. فإذا على شط النهر جوارٍ عليهن من الحُلى والحلل ما لا أصف، فلما رأينني استبشرن بي وقلن: هذا زوج العيناء المرضية قد قدم فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا، نحن خدم لها وإماؤها فتقدم أمامك، فتقدمت فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوارٍ، فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن

وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا والله زوج العيناء المرضية قد قدم علينا، قلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: وعليك السلام يا ولي الله نحن خدم لها وإماء لها تَقَدم أمامك، فتقدمت فإذا بنهر آخر من خمر على شط الوادي، فيه جوارٍ أنسينني من خلفت فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا نحن خدم لها وإماءٌ لها، امض أمامك، فتقدمت فإذا بنهر آخر من عسل مصفى وروضة فيها جوارٍ لهن من النور والجمال ما أنساني من خلفت فقالت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ قلن: يا ولي الرحمن نحن إماء لها امض أمامك، فتقدمت، فوقعت في خيمة من درة مجوفة على باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أصفه، فلما رأتني استبشرت ونادت من الخيمة: أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم، قال: فدنوت من الخيمة فدخلت فيها فإذا هي على سريرها قاعدة، وسريرها من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهي تقول: مرحباً بولي الرحمن قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها فقالت: مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقني، فإن فيك روح الحياة، وأنت تفطر عندنا الليلة إن شاء الله تعالى، فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها، قال عبد الواحد: فما انقطع كلامه حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحملنا عليهم، وحمل الغلام، قال: فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام، وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط في دمه، فضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا.

قصة أخرى تشبهها

وقريب من هذه القصة ما رويناه في كتاب (رسالة أبي القاسم القشيري) قال أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي حدثنا أبو الفرج الورثاني سمعت علي بن يعقوب بدمشق قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت قاسماً الجوعي يقول: رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله: قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتي، فقلت: مالك لا تزيد على هذا الدعاء؟

فقال: أحدثك. اعلم أنا كنا سبع أنفس من بلدان شتى، فخرجنا إلى الجهاد، فأسرنا الروم، ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فقُدم واحد منا فضُرب عنقه، فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض بيدها منديل فقبضت روحه حتى ضربت أعناق ستة منا، فاستوهبني بعض رجالهم فقالت الجارية: أي شيء فاتك يا محروم؟ وغلقت الأبواب. فأنا يا أخي متأسف متحسر على ما فاتني. قال قاسم الجوعي: أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا وعمل على الشوق بعدهم.

آخر الكتاب، والحمد لله رب العالمين.